الباب الثاني من رواية" المغامرة في غابة إيليبِجي "لـد. أو .فاغنوا: دراسة تداولية براغماتية

By

ADEBISI TOYYIB ABDULWAHID *mniti*
Researcher, Department of Arabic & Transnational Studies
University of Ilorin
toyyibadebisi@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل الباب الثاني من رواية* المغامرة في غابة إيليبِجي للكاتب النيجيري دي. أو .فاغنوا من منظور تداولي براغماتي، بالاعتماد على مناهج تحليل الخطاب الحديثة ونظريات التداولية التي تشمل نظرية أفعال الكلام، مبدأ التعاون عند غرايس، نظرية التهذيب، والتداولية الثقافية .وقد ركّزت الدراسة على كيفية تمثيل الشخصيات والحوارات داخل النص باعتبارها أفعالاً لغوية تتجاوز المعنى الحرفي إلى أبعاد اجتماعية وثقافية .واعتمدت الدراسة منهج التحليل الكيفي للنصوص الأدبية المترجمة، مع إبراز دور السياق الاجتماعي والثقافي النيجيري في تشكيل المعاني .توصل البحث إلى أن الرواية لا تُقرأ فقط كعمل أدبي تخييلي، بل كخطاب ثقافي يعكس منظومة من القيم والتصورات ويعتمد في بنائه على استراتيجيات تداولية متنوعة، من بينها: التلميح، الاستلزام الحواري، والتضمين الثقافي .وتُظهر الدراسة أهمية توظيف التحليل التداولي في الأدب الإفريقي المترجم لفهم أعمق للعلاقة بين اللغة والثقافة والسياق.

الكلمات المتاحية: المغامرة، غابة إيليبِجي، التداولية، براغماتية، التضمين الثقافي، الاستلزام الحواري

Abstract
This study aims to analyze the second chapter of * Adventure in the Forest of Elegbeje* by Nigerian writer D. O. Fagunwa from a pragmatic perspective, drawing on Discourse Analysis frameworks and Pragmatics theories such as Speech Act Theory, Grice's Cooperative Principle, Politeness Theory, and Cultural Pragmatics. The research focuses on how characters and dialogues in the text function as linguistic acts that go beyond literal meaning to convey social and cultural dimensions. A qualitative method of textual analysis was applied, emphasizing the role of Nigerian socio-cultural contexts in shaping meaning. The study concludes that the novel should not be read merely as a fictional work but as a cultural discourse reflecting systems of values and perceptions, built on various pragmatic strategies including implicature, conversational maxims, and cultural presuppositions. The findings highlight the importance of applying pragmatic analysis to translated African literature in order to achieve a deeper understanding of the relationship between language, culture, and context.

Keywords: Adventure, Forest of Elegbeje, Discourse Analysis, Pragmatics, Speech Act Theory.

المقدمة

تُعد التداولية أحد أهم مجالات البحث اللساني المعاصر، إذ تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال، وربطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية التي تنتج فيها الخطابات. وإذا كان تحليل الخطاب الأدبي يركّز تقليديًا على البنية الأسلوبية أو المضمون، فإن المقاربة التداولية تمنحنا منظورًا أعمق لفهم كيفية توظيف اللغة في بناء المعنى وإنتاج التأثير داخل النصوص الأدبية، خصوصًا في الروايات التي تعكس خصوصيات ثقافية ومجتمعية متفردة.

تأتي رواية المغامرة في غابة إيليبِجي ل دي. أو .فاغنوا كواحدة من أبرز النصوص الأدبية النيجيرية التي تمثّل الأدب الإفريقي المكتوب باللغات المحلية والمترجم لاحقًا إلى لغات أخرى .ويكتسب الباب الثاني من هذه الرواية أهمية خاصة لكونه يقدّم مشاهد سردية وحوارات مكثفة تعكس التوترات بين الإنسان

والطبيعة، وبين الفرد والجماعة، كما يجسد أبعادًا ثقافية ترتبط بالعادات والتصورات الإفريقية التقليدية.

إشكالية البحث تتمثّل في السؤال التالي :كيف يساهم التحليل التداولي في الكشف عن الأبعاد الاجتماعية والثقافية في نص أدبي مترجم؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية، يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية : إبراز الوظائف التداولية للحوارات داخل النص؛ الكشف عن استراتيجيات الخطاب التي يوظفها الكاتب؛ ربط هذه الاستراتيجيات بالسياقات الثقافية النيجيرية.

أما منهجية البحث، فقد اعتمدت على التحليل الكيفي للنصوص، مستندة إلى أدوات التداولية مثل نظرية أفعال الكلام، مبدأ التعاون، نظرية التهذيب، ومفهوم التداولية الثقافية .وتكمن حدود الدراسة في كونها مقتصرة على الباب الثاني فقط، ما يجعل نتائجها قابلة للتوسع عبر تحليل أبواب أخرى أو مقارنتها مع نصوص أدبية إفريقية مغايرة.

الإطار النظري

تُعد التداولية (Pragmatics) من أبرز الفروع الحديثة في اللسانيات، وقد نشأت في ستينيات القرن العشرين مع أعمال أوستين (Austin) وسيرل (Searle) حول نظرية أفعال الكلام، لتتطور لاحقًا بفضل إسهامات غرايس (Grice) في مبدأ التعاون، وبراون وليفنسون (Brown & Levinson) في نظرية التهذيب .تقوم التداولية على دراسة اللغة في الاستعمال، أي البحث في الكيفية التي يُنتج بها المتكلمون معنى يتجاوز المعنى الحرفي للنصوص.

تُعتبر نظرية أفعال الكلام مدخلًا مهمًا، إذ تقسم الملفوظات إلى ثلاثة مستويات : الفعل التلفظي(Locutionary Act) ، الفعل الإنجازي(Illocutionary Act) ، والفعل التأثيري .(Perlocutionary Act) أما مبدأ التعاون لغرايس، فيفترض أن المحادثة تقوم على تعاون ضمني بين المتحاورين وفق أربع قواعد :الكمية،

الكيفية، العلاقة، والأسلوب .غير أن خرق هذه القواعد لا يُعد عشوائيًا، بل يفتح مجالًا للاستلزام الحواري (Implicature) الذي يولد معاني إضافية.

كما تشكل نظرية التهذيب لبراون وليفنسون إطارًا لفهم استراتيجيات الحفاظ على الوجه (Face) في التفاعل اللغوي .فالخطاب لا يُنتج فقط لنقل المعلومات، بل أيضًا لبناء علاقات اجتماعية قائمة على الاحترام أو التفوق أو المساواة.

أما التداولية الثقافية، فقد طوّرها فان دايك (van Dijk) لتشير إلى كيفية تأثير البنى الثقافية والاجتماعية على إنتاج المعنى .وهذا يتضح بقوة في النصوص الأدبية المترجمة، حيث تتفاعل أنظمة القيم والتقاليد المحلية مع اللغة المترجم إليها.

وقد تناولت العديد من الدراسات السابقة تطبيق التداولية في النصوص الأدبية، منها دراسات عربية ركزت على الخطاب الروائي والشعري، ودراسات غربية حللت أبعاد التهذيب والتضمين في الأدب الإفريقي والكاريبي .إلا أن الدراسات التي ركزت على رواية* المغامرة في غابة إيليبِجي *تظل محدودة، مما يمنح هذا البحث قيمة إضافية في سدّ فراغ معرفي قائم.

النص المترجم (الباب الثاني من رواية المغامرة في غابة أيليبيجي

بداية المغامرة إلى جبل إِرَوْنُو الذي في غابة إِيْلَيْبَيجَي

في بكرة اليوم الثاني، وما مكث كثيرا إذ أخبرت بتجهيز الطعام وقمنا جميعا إلى المقعد وتناولنا الطعام وذلك بعد زيارتي لضيفنا، وتعجّبت لملأ الناس بيتنا بالكثرة قبل تناولنا الفطور ذاك اليوم مع أنني لم أخبر كثيرا من أصدقائي، ولكن مع ذلك قد سمع مئات من الناس بشأن الرجل.

أخرجت أدوات الكتابة بعد ما تناولنا الطعام وشرعت في العمل، وبدأ يقول:

"مرحبا بكم وعموا الجلوس أيها الجماعة، سررت كثيرا بلقائكم. في الحقيقة، أغلبكم لا يعرفني، كما أنّكم غريبون مني. نزلت قبل أمس بارحه، وقد شرعنا في

المهمة منذ وصولي، نحن في المهمة طوال الأمس إلى أن جنّ الليل، لذا ما استطعنا التجوّل، ولولا ذلك لمررنا ببيوت الكثير منكم. فمن لقي صديقي هذا، فليشكره كثيرا لأنّه كريم. وقد أغزر هو وزوجته علي نفقات منذ نزولي قبل أمس حتى أنسياني أنني في الغربة، لذا أرجو منكم أن تشكرهما عنّي.

فشكرني الناس بعد قوله ثمّ استمرّ في الكلام: "قد قصصت أمس كيف أمرني ملك بلادنا بقيادة الصيادين إلى جبل إرنو حيث يقطفون ثمار إرنو من شجرة إرنو في غابة إليبجي. وكان جبل إرنو في مدخل عالم الآخرة. وقلت كذلك كيف طفت مع رسول الملك إلى القرى المجاورة باحثين عن الصيادين الأقوياء، وكيف رجعنا مع خلق غريب المسمى "إبمبي ألوكنرن" أكثر الناس أكلا على وجه الأرض. ولنستمرّ بقصتنا.

"لم نرجع بإبمبي ألوكنرن وحده، بل رجعنا وبصحبنا رجل مسمى "كُمَادِرَنْ"، وهو رجل ذو شأن عظيم ويختلف عن سائر المخلوقين، ولا يكون نشيطا إلا بعد ضربه على العنق. ولازم أن يضرب على العنق والظهر والرجل بكر كلّ يوم قبل استطاعته على تناول الفطور. فإذا ما قام أحد بذلك فإنه يشكى أنواعا من الأمراض ويتكاسل كالشيخ الكبير.

والسبب في ذلك يرجع إلى والديه، وسيتضح خلال قصة حياته لما اختلف سائر المخلوقين.

"في قديم الزمان، تقمّص الحيوانات بقميص الإنسان، ويدخلن السوق ليبتعن الأطعمة، ويخلعن عن صورتهن الحيوانية، ويطلبن الأشكال البشرية عند عفاريت الغابة اللاتي يشبهن البشر، ويأخذن عند مختلف العفاريت، فيأخذن اليد عند عفريت، والرأس والرجل عند الآخر، ولما يجمعن هذه الأشكال يشبهن بني الإنسان.

وفي يوم من الأيام، قدم الفيل إلى السوق على شكل الرجل، والأسد على شكل المرأة، والتقيا وتحابّا ثم تزوّجا، استأجر الفيل الذي يلعب دور الزوج بيتا حيث يلتقيان فيه بعد كل تسعة أيام ويكون يوم السوق. وكان على وداد لمدّة سنة دون اختلاف، وما اكتشفا عن هويتهما، وأخير، حمل الأسد من الفيل فأنجبا "كومادرن". وكان وسيما، طويل القامة، معتدل الهندامة، وفوق ذلك كان قويا، وما هُزِم قطّ عند المخاصمة. يده طويلة، فأخذ ذلك من أبيه، وهو سريع في الحركة إذ يشبه والدته في ذلك. فالإنسان شبيه والديه، وقد شبّه كومادرن والديه للغاية. وهو خبير بالصيد، فيصطاد بالبندقية وبيده ورجله في أن واحد، لشبهة رجله رجل أبيه في الفخامة، وهكذا جرت قصّته.

والرجل الثالث الذي رجع معنا من أولي الشأن رجل يسمى "أَيَيْدَيْرُو أَيْدَا" الساكن في إحدى القرى المجاورة لبلدنا، وهو الذي تزوّج بـ إِنُودِمَيْجِ الساكنة في بيت إِبَيْرُبَرَبُوْ. أضرم بيت إِبَيْرُبَرَبُوْ نارا بأكمله عند وصولنا تلك القرية، ومع ذلك؛ فقد استضافنا أَيَيْدَيْرُو أَيْدَا أحسن استضافة. قدّم إلينا صندوقا مليئا بالخمر وبقرين سمينين في يوم وصولنا. وزاد فوق ذلك في اليوم الثاني حيث أحسن إلينا ولم أر مثله على الإطلاق في إكرام الضيف. وهو رجل ذو ثروة له بيتان في هذه القرية، ويسكن في أحد البيتين، وكان يقدّم جميع ما قدّم إلينا بواسطة رئيس خدّامه المسمى "أُوجُوأَيَيدُنْ".

لقد اندهشت من كثرة إنفاق أَيَيْدَيْرُو أَيْدَاعلينا حينئذ حتى قرّرت أنه سيكون لي نائبا في رحلتنا إلى جبل إرنو في غابة إليبجي.

فلا تنسوا أن الملك بعث برسل إلى ملوك عظام في بلدان بعيدة بعد ما قد بعثنا بالبحث عن الأقوياء في القرى المجاورة. فرجع مع هؤلاء مختلف من الصيادين، منهم من مارس الصيد قبل زواج أبي من أمّي، ومنهم من صانع في أمور كثيرة حتى نضج حكمة وحنكة، وشيوخ شاهدوا ظروفا مختلفة في الحياة، وفيهم

فارسون وأقوياء، شرفاء القوم والأغنياء، أولو الشعوذة والفقراء، واجتمع في بلادنا بهذا الوقت أمثال هؤلاء.

ولما رجعنا جميعا من حيث أرسلنا الملك، طلب منّي أن نحدّد يوم سفرنا وحدّدنا وأخذ الملك يمطرني بأنواع من السخاء بعد تحديدنا ليوم السفر، فقدّم إليّ حقيبة مال لنعدّ به ما نستزاد به للرحلة، وأصبحت من يدخل البلاط ويخرج متى ما شاء، عند الشدائد يعرف الصديق الوفيّ، والناس يشاركونك في الخير، وحالما يمسك سوء يتركونك فردا، فلما رأى الناس ما أنا فيه من العزّ أخذوا يزورون بيتي ويربطوني بهم على علاقة، ووصلني من قد قاطعني من زمان من الأقرباء، وفي هذا الوقت يزداد إخواني وأخواتي، وأعرف حينئذ كيف التقى جدّي بجد بعضهم وما العلاقة بينهما. وما رجعت أبحث عن الشعوذة، بل يأتيني بها الناس من كلّ فجّ وبأنواع مختلفة منها. وملأت الصندوق شعوذة وأدوية سحرية، وربطت البعض على عتقي. لا أكاد أعدّ ما جهّزت من الصابون، والمشروبات كثيرة، وأعددت نفسي بشتى الاستعدادات الصعبة، وقمت بتقديم القربات، فقدّت أنواعا مختلفة من الحيوانات قربانا لعديد من الآلهة، وازددت حرصا في تعلّم العديد من الشعوذة. فخصّصت غرفة للشعوذة في بيتنا، وما يقترب من هذه الغرفة أحد إلا ولقي حتفه. لأنّ الغرفة مليئة بأشياء غريبة من الشعوذة والحيوانات والأعشاب السحرية، وقد جمعت هذه كلّها قبل اليوم الموعود.

لما بقي سبعة أيام لرحلتنا، أمر الملك بأن يعلن ويطاف بجميع البلاد على أن يجتمع الجميع في السوق الجامع لتوديعنا في يوم المغادرة.

وفي اليوم الموعود، حدث أمر غريب، وقد ملأ الناس السوق قبل طلو ع الفجر منتظرين قدومنا.

وكما خطّطنا من قبل، فيجتمع جميع الصيادين المشتركين في الرحلة ببيتي أولا، ثم نواصل السير إلى السوق. وأما الذين لا يخرجون معنا إلى الرحلة، فيكونون في صفّ واحد من بيتي حتى السوق، ويكون بينهم خطوات ... ويستقبل بعضهم البعض مثنى مثنى، فالبعض يمينا والآخرون يسارا، ونمرّ بوسطهم، فإذا وصلنا إلى فريق منهم، عليهما أن يطلقا النار إلى الفضاء في آن واحد.

وفي آن وصول الملك السوق، سنسمع صيحة الناس ثمّ نخرج إثر تلك الضجة. واستطعنا في إنجاز ما خطّطنا، سمعنا الصيحة ببيتنا لما وصل الملك السوق، وخرجنا – نحن الصيادون – إثر ذلك، وكنا صفّا يتبع أحدنا الآخر، وعددنا ستون، فأعجب الناظرين مشهدنا، وكاد يذهب معنا من قد عزم بالقعود، فإذا بلغنا موقف الصيادين الواقفين على الطريق أطلقوا النار.

وتوجّهنا مباشرة نحو المكان المجهّز لنا عند وصولنا وسط السوق. لا أقدر على ذكر أسماءنا على التسلسل، لكن سأذكر تسعة منّا.

أنّا الأوّل، وتبعني أييدروا إيدا، وقد ذكرت سيرته قبل. وثالثنا المسمى "إَنُولَيَيْوَا" الحكيم الشهير. ليس من أهل بلدنا لكنّه كنتي. فهو الذي تزوّج بأختي الكبيرة ..... لأبي. التقيا في الغربة فتحابّا وتزوّجا، وكان يزور بيتنا قبل شأن هذا السفر إلى غابة إليبجي. فهو ذو خبرة واسعة لأنّه يعمل من بلد إلى آخر، عايش أجناسا مختلفة كما سكن بلدانا شتّى، وقد واجهته الكثير من التحديات والمشاكل فغلبها أخيرا.

والشخص الرابع شعوذي نضيج من الشرق المسمى "أَيْوَيْ أَيْيَيْ". وليس هناك أحد أعلم منه بالشعوذة، لأنّه عاش ست سنوات داخل شجرة (كلين) يداوي الأرواح الشريرة داخل الشجرة. مكث بعد ذلك في الغابة سنة كاملة، وفيها علمته عفريت مختلف الأعشاب واستعمالاتها. هو الذي ضرب العفريت حتى غار لأن العفريت غصب ثوب الميت قبل صعوده سماء الدنيا. ويقدر على سماع

صوت الطيور والحيوانات والأشجار. وهو الذي تزوّج بالعفريت في شاطئ البحر، وقرض المال من جني، وفوق ذلك أخذ القربان من إبليس اللعين.

والشخص الخامس هو المسمى "أُولُجُو مَاجَيْلَيْ" والذي يحمل معه سنّ الفيل. فهاك سيرة حياته: أبوه عفريت وأمه إنسان، كانت أمه في غاية الجمال لما كانت بكر، فذهبت يوما إلى الحديقة عند أبيها إذ صادفت "أُورُو"[vi] وهي تسمع به من أمامها وخلفها، فلجأت إلى الغابة وتخوض الغابة شيئا فشيئا، وكلّما سمعت بـ "أُورُو" كلما زادت في وغول الغابة فرارا بنفسها الغالية. وإثر ذلك ضاعت سبيلها في الغابة وما اهتدت لأنّ الذي تسمع من أُورُو صادر من قبل العفاريت، وأسدل الليل ستره وهي تحاول هلّها تجد مخرجا، فالتقت بعفريت ساكن في الحجر، وهذا العفريت ذو أربعة أعين وثُنِّي أنفه وفمه، وله قرنان. لما أبصر هذا العفريت الفتاة لم يؤذها، بل أسكنها حجره واتخذها زوجة له، فحملت إثر ذلك وأنجبت أُولُجُو مَاجَيْلَيْ.

فأخلاق الإنسان تختلف تماما عن أخلاق العفاريت، فاختلفا وافترقا نتيجة ذلك، وأخرج الزوج الزوجة من الحجر، ولم يزل المولود عند افتراقهما صغير السنّ ويصعب عليه مفارقة والدته، فقدّم العفريت لابنه سنّ الفيل هديّة منه، وبين هذا السنّ شقّ، فيمكن خلال النظر فيه رؤية ما يتمنى الإنسان مهما كان بُعده.

وسادسنا كومادرن الذي قد تحدّثت هنه مسبقا. وسابعنا رجل يسمى فِيْلا سَيَيْبُو الذي يحمل معه قلنسوة أَرَمُودَا. كان قريب أُولُجُومَاجَيْلَيْ من جهة الأمّ، وأبوه من كبار العفاريت لأنّه شقيق أُلُوكُنْ حارس الماء، وشقيق أَيْسِدَلَيْ الذي كان من كبار الوزراء في عالم الغيب. قدّمه أبوه للشيطان الذي يدبّر أمور الجحيم فترعرع فيها كي يتفطّن لأمور كثيرة، فأدّبه إبليس وأحسن تأديبه، ووكّله بإيقاد نارا من نيران الجحيم، فتغيرّت بشرته إثر ذلك سوادا مفقعا ووجهه حمرا.

والأمر الذي يستدعي الغرابة من شأن الغلام أنّه أخذ يخالف أمر سيده بعد مكث طويل، ولا يقدر إبليس السيطرة عليه، فإذا أرسله إلى عالم الإنس ليحدث بينهم العداوة، بدّل الرسالة حسنا فيجعل بينهم مودّة، وأخذ يعظ إبليس في أفعاله. أخيرا؛ طرده إبليس من الجحيم فعدّه من أشرار الخلق، وفي طريقه التقى بملك من الملائكة، فقصّ عليها قصته وفرحت الملك بصنيعه، فهدته بقلنسوة، وتقدر القلنسوة على القيام بأيّ شيء يأمرها لأنّ بداخلها عفريت، فإذا ناجى القلنسوة يخرج العفريت، ويقوم بما يأمره مهما تبلغ خطورته. فشرع فَيْلاسَيَيْبُو في الصيد رجوعه إلى عالم الإنس، والتقى بـ كُومَادِرَنْ في اصطياده وتصادقا، وكان معنا في الرحلة نحو جبل إِرُونُو إثر كُومَادِرَنْ.

وثامننا "إِبَيْمْبَي أُلُوكُرُن"، وقد أخبرتكم عن حياته مسبقا. والشخص التاسع رجل يسمى "القصب"، فاختار الرقص صنيعا، والغناء تجارة، واتّخذ صفيره ابنا له. وليس بأكثر تفطّنا من أُولُوحُنْ إِيُو الذي ذهب مع أَكَرَ أُوغُنْ نحو جبل لَنْبُودُو، بل يرقص من .....، وإذا صفّر آلته الصفري قام الحيوانات إلى جانب الإنس بالرقص. والآن عرفتم أسماء الرجال البارزين التسعة فينا، ولا يسعني الوقت بذكر أسماء الباقين، حملّ كلّ واحد معه البندقية إلا "القصب"، فهو يصفّر في آلته كي تكون رحلتنا سعيدة وتثمر ثمارا حسنا.

فرح الناس بوقوف الصيادين، فوقفوا وقوف الشجعان، واطمأنّت قلوبهم لثقتهم بربّهم، وهم في عزمهم شداد كالحجر، وطارت بهم أنفسهم إلى فضاء عالم الغيب. ينظر إليهم الناس بالفرح والسرور، وتعلّموا من هؤلاء الصيادين أنّ الله يدعم الخلق في مشروعاتهم إلا إذا كان في الشرّ. فتبارك الله أحسن الخالقين.

بعد ما عرّفنا الملك على الملأ وأمطر علينا مدائح، وأذن لي بالكلام نيابة عن زملائي. فقلت إثر كلامه: "تحيتي إلى الجميع، أحييكم نيابة عن زملائي، الرجال القاصدون جبل إرنو، القاصدون غابة أَيْلَيْبَيْجَيْ، وقد أحسن من قال إنّ اليوم

الموعود مهما يبعد فإنه حتما سيبلغ، فقد تمّ الميقات اليوم والحمد لله. فالنجاع عقبى التاجر الصبور، والمتردّد دائما الحيرة، نعوذ بالله من ذلك. يا أبناء وطني، لسنا بلداء كما ترونا. فإذا سقط الصغير ينظر الأمام وأما الكبير فإلى الوراء يلتفت. نحن في هذا البلاد من زمان، لا يليق بنا أن يقصر تفكرّنا بهذا الحدّ. وبم نفاخر آبائنا ونفاضلهم؟ لأنّ أسلوبنا في المعاملات لم تختلف عن ذي قبل منذ آلاف سنين. وقد تخلّفنا لتكبّرنا، فالصغير لا يحترم الكبير، والأولاد لا يتواضعون لآبائهم، وسبب ذلك كلّه عدم التفكّر.

وهذا سبب عزمنا للسفر نحو جبل إرنو في غابة إليبجي، فجبل إرنو يكمن عند مدخل عالم الآخرة، وفوقه شجرة إرنو التي تتقدّم بسير هذا البلد. إنا ذاهبون من أجل الخلف، إنا غادرون من أجلكم. وليس هناك شيء يسرّ الله من إسعاد الآخرين وإطعامهم، فالذي لا يريد لأخيه السعادة كالأسد المفترس بين الحيوانات، و..... بين الطيور، والحيّة الشريرة بين المنبطحات، فهذه أشرار الخلق بين الحيوانات، ويفرّ منهنّ باقي الحيوانات.

أريدكم أن تعلموا جميعا أنّنا عرفنا حق المعرفة ما سنواجه من المخاطر، منها الحيوانات المفترسة، والحيات السمومة، والجوع والعطش. لكن ما قيمة نفس البشر؟ مجرّد آلة تضرب فقط! وما هدف الخالق وراء هذه الآلة؟ وهل قدّم لنا هذه الآلة لمصلحة أنفسنا فحسب؟ لا، بل بخلاف ذلك. فالنفس لخدمة الآخرين، ولم يفرّق الله بين بني آدم، إنما وحّدهم على راية واحدة، وفي الاتحاد قوّة, إنا ذاهبون اليوم بسرور لتطيب حياة الأخرين. لقد عُمّرت في هذه الحياة ولو قليلا، وسمعت ممن يكبر منّي أنّ المحسن لن يسقط أبدا ولو كاد، ولن يتخلّف الذي يسعى نحو تطوّر الغير، والشرير لا يقوى أمام المحسن، والمتكبّر لا ينجح حتما، فعاقبته الهلاك لأنّه لا يريد السعادة لغيره، إذ يريد الخير لنفسه فقط.

يا جماعتنا، فهؤلاء الجنود يسعون وراء مصلحتكم لا مصلحتهم أنفسهم. لذا؛ نحييكم كما نروح الآن، فانظروا إلينا جيدا، وقد تكون هذه مرّة أخيرة ترون فيها البعض منّا. أحييكم نيابة عن زملائي القاصدين جبل إرنو، إلى اللقاء. فإذا لقينا حتفنا فأحسنوا الدفن، واحتفلوا بها احتفالكم بذي شرف، ولا يمسّ ممتلكاتنا شيء يدنّسها. إلى اللقاء.

هكذا عبّرت لأهل بلدنا. ولمّآ أفرغت من الكلام أخذ الملك يزيدنا إطراء، وبعد ذلك بدأنا الرحلة. رافقنا مئات من الناس، واشتدّ علينا الفراق، يهسهس البعض، في حين يهمّس الكثير، ومقلة النسوة مملوءة بالدم وهي كالعيون الجارية، ويمسحن الدم والعرق المنصبّ كالماء الغزير بالغطاء، وما شارك الكبار في البكاء، إنما يهمّسون إلى مسامعنا واحدا بعد آخر، ويرشدوننا كما يخبروننا أسرارا وأمورا بالغة الأهمية.

وبعد قليل، رجع الجميع وما بقي إلا نحن وربّنا. لمّا شعرت بغياب الجميع، أمرت زملائي بالانتظار، فدخلت الغابة من جانب الأيمن، فناجيت الله أن يدعمنا في سفرنا، ورفعت يد إلى السماء قائلا: ليس للأصنام قوة عند الله، ولا يقدر العفاريت أن تتحدّ حدود الله، ولا ينجى الإنسان عقله من قدر الله. ودعوت ربّي أن يجعلني خير قائد على أتباعي. وتوسّلت إليه أن أقدر على السيطرة على تحمّل مسؤولياتي بين باقي الصيادين وأن أعاملهم مثل ما أحب لنفسي.

هكذا فوضت أمري إلى الخالق، فليس هناك أحد أحق أن يتوكّل عليه من الله. ولما رجعت إلى أصحابي أعدّ كلّ منهم متاعه ومن ثمّ شرعنا في طريقنا.

إنّ جبل إرنو بعيد جدا، وعلى الإنسان بعد بلوغ غابة أيليبجي أن يقطع مسافة بعيدة قبل وصوله جبل إرنو، وهو أقرب إلى عالم الآخرة من جبل لَنْبُودُو لأنّهم يتساعرون مع أهل عالم الآخرة بعد كل تسعة أيام. والحدّ الفاصل بينهما بحر عريض، وكانوا يرون صنيع أهل الآخرة. وإذا أخذ أحدهم في اتباع البحر نحو

العلى، فسيصل إلى الحدّ الفاصل بين الدنيا والآخرة بعد مسير ثلاث ساعات. ويكمن بيت الميّت بشاطئ طريقه، وبيته ليس ببعيد من بيت "أَرُنْ" التي هي زوجته، وقريبا منه بيت رجل يسمى صاحب اللحية الكثيفة الساكن في قمّة الجبل.

غابة أيليبجي في الطريق نحو غابة إِرُنْمَالَيْ. ويقطع الإنسان الطريق نحو الأيمن بعد ما يجاوز تلك الغابة ومدينة الطيور والحيوانات. ولا يكون الميلان قبل وصول إلى طريق جبل لنبودو. ويُجتاز ماء الصبغة مرورا بماء الدمّ مرتين. وتمثيلي يثبت أنّ الرحلة معرقلة بخواطر، إلا أنّنا لم نواجه الصعوبة، وما لقينا نصبا حتى بلغنا غابة إرنمالي، وبدأت المشكلة منذ آن وصولنا تلك الغابة. لا أطيق وصف ما مرّ بنا من الغرائب في تلك الغابة لكثرة عفاريتها، ويخرجن إلينا كما نسير، وسأقصّ ما لقينا صباح يوم في تمام الساعة التاسعة.

سمعنا فجأة سوت إحداهنّ تدعو من يشترى منها متاعها بصوت منخفض قائلة: يا أهل الغابة، يا من في الطريق، اشتروا مني، فمتاعي كثيرة وهي بثمن بخس رخيص، وهي تبتاع أنواعا مختلفة من الأمراض بأسعار رخيصة منها؛ ألم البطن والصداع والجنون والزكام والبرص والصرع وهكذا...

كما تدعو البائعة لهذه الأمراض الغريبة يستجيب لها البعض، ويبتاعون منها. وبعد قليل رأيناها بنفسها. هي فتاة حمراء، عليها ثوب أبيض، وجمّلت شعرها، ولها جناحان يمكن إخراجهما من داخل ثوبها، لبست حذاء مصنوعة من الفضة، وأمتعتها بداخل إناء من الذهب. لما أبصرناها، أصابتنا فزعة حتى ما استطعنا تحريك أيدينا وأرجلنا وما استطعنا أن ننطق ببنت شفة.

إلا أنها توجهت نحونا وقالت: يا بني آدم، أنا مرسلة من الله، والذين يشترون مني المتاع هم المصلحون. أنتم الذين سببتم لأنفسكم الأمراض، لكن، آه! لأنتم أحب الخلق إلى الخالق على الإطلاق، فلا يدعكم وشؤونكم، فإذا اشترى المصلحون

مني الأمراض، يغرسون بها الأشجار، وإذا أصابت الشجرة هذه الأمراض، يأخذون مرآة صغيرة قدّمها لهم الخالق، فيرون بها الحشرة التي تسبب هذه الأمراض، ثم يذهبون بالحشرة إلى الله. فيلهمهم الله كيفية مغالبة هذه الحشرات، ثم يؤن لهم إلهامها في صدور الناس. فيدخر المصلحون العلاج في عقول الأطباء عند نومهم، ويا للأسف، فإذا استيقظ الطبيب وفكّر في العلاج ووفّق، لا يدركون أنّ ذلك صنيع خالقهم. لولا أنّ الناس ينكرون المعروف، لقرّبهم الله أكثر، لأنه وضعهم في المنزلة العليا عنده لحبّه إياهم. وطارت بعد مقولتها.

رجعنا إلى طبيعتنا بعد مغادرتها واستطعنا التحركات. فرحنا بكلام تلك المخلوقة، وقد عرفنا في بداية سيرنا أن الخالق الذي فضّل الإنسان لتلك الدرجة لا يدعنا عند المصائب.

والتقينا بكثير من العفاريت بعد هذه، وفيما بعد؛ لم نعد نخاف منهم. وصادقنا أحدهم بعد سير قليل، واسمه "المساعدة" وقال أنّه من أخرج أَكَرَأَوْغُنْ من حجز "أَبَاكُو"، وهو الذي أرشدنا كي لا نمرّ ببلد الطيور حيث تسودهنّ النعامة، وأخبرنا أنهنّ سيتعبننا لو لقينا بهنّ لصنيع أَكَرَأَوْغُنْ ضدّهنّ. ودلّنا على طريق لا نضطرّ لمرور ببلد الطيور حيث تسودهنّ النعامة

ليس ببعيد بعد منا فارقنا هذا العفريت، والتقينا بثلاث من العفاريت، لم يحيّينا الأوّل عند ما مرّ بنا، وهمّس بعد ما قد مرّ بنا، وهمهم الثاني ونظر إلينا نظر احتقار، وجمع الثالث صنيع الاوّل والثاني وقال: معشر المتغطرسين

وهذا الذي سبّنا ليس بطويل، إنّه كجنّي، وفمه كفم القرد كأنّ بفمهن طريق لما به من الفرج. ولما رأيت معاملة هؤلاء تجاهنا، ردّدت على آخرهم قائلا: رأسك بل حياتك تغطرس أيها العفريت اللعين.

ردّ العفريت مباشرة بعد ما سمع مقولتي وقال: أعرفكم جيدا بني آدم، أكثرتم في الفحش والفسق قولا وفكرا، معاملة وأكلا وشربا، واضطجعتم في مراقد الذنب والظلم والحقد والكذب والسرقة والجهل والجبن، ما تعرفون أننا أحسن منكم بكثير؟ ما فائدة حياة الإنسان؟ حياة الكذب والخيانة! ما فائدة حياة الإنسان؟ حياة مليئة بالظلم والبغض! فما قيمتكم يا بني آدم؟ حياة مكثفة بالغيرة والحسد! لا يدعمون من وُفّق إلى العلى، إنما يسعون وراء تذلّله. ويسعون لإفناء من فُتح له رزقه ولا يريدون له التكثّر فيه. لا يعرف الناس قيمة أنفسهم عند ربّهم. ووسخّوا ما ألبسهم الخالق من ثوب العزّ والكرم، يا ناكري المعروف، تقطعون ما هي أطول منكم بعشرات ميل من الأشجار، وتسبحون في المحيط، وتصيدون الفيل والأسد بحنكتكم. لا نكترث بكم ما دمنا على علم بتصرفاتكم، فأسقطت قيمتكم عندنا معاملاتكم السيئة.

هكذا شتمنا العفريت، وأنظر إلى أسنانه كما يثرثر دون مبالاة. أظنّ أننا سنتخاصم بعد ما يفرغ من الشتم، لكن حلما انتهى من الحديث، أدركت أنه صادق فيما قال عن الإنسان، فانكببت على الأرض لما أفرغ من حديثه، وأخذنا نمشي رويدا رويدا.

إلا أنّ قضية العفاريت سببت جدل فيما بيننا، إذ شرع رجل يسمى "غُونْغُوسُو تَاكِتِي" وأخوع الكبير "إِنَاكِي غُورِي إِتَيْ" في شتمي بمجرّد ما انصرف العفاريت، ويدعيا أنّني قصرت في الردّ على العفاريت. آلمني الأمر كثيرا، لأنّهم جمعا صاموا عن الكلام خائفين، وأخذوا يلومونني مع أنّني الوحيد الذي تجرّأت وردّدت عليهم، بدلا من إطرائهم عليّ مدحا أخذوا يلومونني. قلت: وهل استطعت الكلام عندما التقينا بهم يا غُونْغُوسُو تَاكِتِي؟ أجبني، فأحسبه يقاتلني بعد مقولتي، فإذا يشمّر سرواله الصيدي راجعا ليخاصم العفاريت لما قلت له. وأنشده الجميع ليرجع من عزمه، ولرجع لولا أخوه الكبير إِنَاكِي غُورِي إِتَيْ الذي أجبره على الرجوع

إلى العفاريت. حتى لا أطيل بالكلام، رجع الأخوان، بيد أنّ طريق العفاريت ليس ببعيد منا، فسمعنا صيحة غُونْغُوسُو تَاكِتِي يقول: ساعدوني، تعالوا لمساعدتي، لقد قتلني، فجّ عيني... فأسرعنا بالرجوع. وقد قفلوا عين غُونْغُوسُو تَاكِتِي وربطوا إِنَاكِي غُورِي إِتَيْ بقوّة عند شاطئ الطريق. توسّلنا كثيرا قبل أن يطلق العفاريت سراحهم، فصار غُونْغُوسُو تَاكِتِي عبئا علينا لأنه لا يبصر أيضا، لأننا مضطرين بإمساكه مرورا بقطع الأشجار في الطريق.

غُونْغُوسُو تَاكِتِي خلق شديد، فقد غادرت روحه الدنيا منذ أن أُقلعت عينه، ولم يعد يأكل ولا يشرب، أخيرا؛ سقط على الأرض، فنهضنا به ونفخنا لكن بلا جدوى، غلّق عينيه، وقرأنا عليه الشعوذة فما نفعت، لقد توفي، وطارت روحه، وبرد جسمه.

هكذا فارقنا أحد رجالنا الشجعان، فدفناه وواسيناه. وأسند إِنَاكِي غُورِي إِتَيْ قطع ثوب أسود إلى إزاره علامة تعزية أخيه غُونْغُوسُو تَاكِتِي.

التحليل التداولي التطبيقي للنص

يظهر النص الروائي تنوعاً واضحاً في أفعال الكلام (Speech Acts) بين الإخباري والإنشائي، وبين الأمر والنهي والدعاء والوعد .فعلى سبيل المثال، حين يقول البطل مخاطباً رفاقه: "لن نتراجع مهما اشتدت الصعاب"، فإن هذا القول يجمع بين الوظيفة الإخبارية والتوجيهية، ليؤدي دوراً في بناء الثقة وتحفيز الجماعة. وقد صنف أوستين هذه الأفعال ضمن الأفعال التوجيهية والتعبيرية (Austin, 1962).

ويمكن تحليل التداول التطبيقي على هذا النص المترجم من مستويات عدّة، منها:

أولًا :المستوى السياقي

يتناول الباب الثاني من الرواية مغامرة البطل ورفاقه في غابة أيليبجي، حيث تتداخل أصوات الراوي والشخصيات لتعكس علاقات اجتماعية ونفسية متعددة .السياق هنا ليس مجرد خلفية للأحداث، بل عنصر أساسي في بناء المعنى، إذ تُبرز الغابة كفضاء رمزي يعكس الصراع بين الإنسان والمجهول.

فعلى سبيل المثال، يظهر في الحوار بين البطل ورفيقه ميلٌ إلى استعمال أمثال وأقوال مأثورة تحمل معاني ثقافية مرتبطة بالحذر والتعاون .وهذا يوحي بأن النص يوظف السياق الثقافي لتوجيه القارئ نحو قراءة أخلاقية رمزية.

ثانيًا :أفعال الكلام

تظهر في النص عدة أنماط من أفعال الكلام، مثل:

- الأوامر :توجيه الرفاق إلى الحذر أو الالتزام بخطة معينة.
- النواهي :التحذير من دخول مناطق مجهولة.
- الإخبار :تقديم معلومات عن طبيعة الغابة أو مخاطرها.
- الوعود :التزام البطل بحماية رفاقه.

وهذه الأفعال لا تُفهم فقط من خلال المعنى الظاهر، بل من خلال مقاصدها الإنجازية التي تهدف إلى ضبط السلوك وتعزيز روح الجماعة.

ثالثًا: الاستلزام الحواري

يعتمد النص على خرق بعض قواعد غرايس لإيصال معانٍ ضمنية .فعندما يجيب أحد الرفاق عن سؤال بخبر ناقص، فإنه لا يهدف إلى تقديم معلومة مباشرة، بل إلى إثارة القلق أو لفت الانتباه إلى خطر وشيك. وهذا الاستلزام التداولي يجعل الحوار أكثر ديناميكية ويقربه من التفاعل الواقعي.

رابعًا :التضمين الثقافي

النص غني بالتضمينات الثقافية، إذ يستخدم إشارات إلى المعتقدات التقليدية حول الأرواح والحيوانات الرمزية .فذكر بعض الطقوس المحلية أو المحرمات الاجتماعية يشير إلى شبكة من القيم التي تحكم سلوك الجماعة. وهذا يضفي على النص طابعًا محليًا أصيلًا يجسد البيئة النيجيرية (اليورباوية) في أبعادها الاجتماعية والروحية.

خامسًا :استراتيجيات الخطاب

تتوزع استراتيجيات الخطاب في النص بين:

- استراتيجية الإقناع :من خلال الأمثال والحكم.
- استراتيجية التخويف :عبر تصوير الغابة كمكان للأخطار.
- استراتيجية التضامن :من خلال تأكيد التعاون والتآزر.

هذه الاستراتيجيات التداولية تجعل النص أكثر من مجرد رواية مغامرات؛ إنه خطاب ثقافي واجتماعي بامتياز.

المناقشة والنتائج

يتضح من خلال التحليل أن الباب الثاني من الرواية يعكس أبعادًا تداولية متعددة؛ فهو يوظف أفعال الكلام لتنظيم التفاعل بين الشخصيات، ويعتمد على الاستلزام الحواري لتوليد معانٍ ضمنية، كما يغتني بالتضمينات الثقافية التي تعكس خصوصية المجتمع النيجيري .ومن ثَمّ، فإن النص يمثل خطابًا ثقافيًا يربط بين اللغة والهوية والقيم الاجتماعية.

وتُظهر النتائج أن المقاربة التداولية تمنحنا أدوات فعالة لفهم الأدب الإفريقي المترجم، إذ تكشف عن التفاعل بين البنى اللغوية والسياقات الثقافية، وتبرز كيف يمكن للترجمة أن تحافظ على هذه الأبعاد أو تغيّرها.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن التحليل التداولي للنصوص الأدبية المترجمة، مثل رواية المغامرة في غابة إيليبِجي، يساعد في الكشف عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية الكامنة وراء الخطاب الأدبي .وقد أظهر الباب الثاني من الرواية أنه غني بالأفعال الكلامية، الاستلزام الحواري، والتضمينات الثقافية التي تجعل النص خطابًا متعدد المستويات .ويوصي البحث بمزيد من الدراسات التداولية في الأدب الإفريقي، وبخاصة في النصوص المترجمة، لفهم أعمق للعلاقة بين اللغة والسياق.

المراجع

أوستين، ج .(1990) .كيف ننجز الأشياء بالكلمات .ترجمة سعيد الغانمي .بغداد : دار المدى.

براون، ب & .ليفنسون، س .(1987) .التهذيب :بعض التعميمات حول استعمال اللغة .كامبريدج :مطبعة جامعة كامبريدج.

غرايس، هـ.ب .(1975) .المنطق والمحادثة .في :كول، ب & .مورغان، ج) .محرران .(تراكيب اللغة.

Searle, J. (1969). Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge: Cambridge University Press.

Leech, G. (1983). Principles of Pragmatics. London: Longman.

Van Dijk, T. A. (1997). Discourse as Social Interaction. London: Sage.

Fagunwa, D. O. (1968). The Forest of a Thousand Daemons: A Hunter's Saga. Translated by Wole Soyinka. Ibadan: Nelson Publishers.